إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين

ابريل ٢٠١٤

أبنائي الأحباء،

سلام ونعمة.

بنعمة الله، أود أن أُشرككم معي في بعض الخواطر عن الصلاة، وهو موضوع كثيراً ما نُوقش وكُتب عنه، هو موضوع بسيط ولكن لو تم فهمه جيداً يمكننا أن نجعل منه عاملاً محفزاً لتغيير حياتنا من كونها منقسمة ما بين المهام المختلفة والصلاة إلى حياة صلاة دائمة.

بما أن هذا الموضوع له جوانب كثيرة، سوف نركز على أحد هذه الجوانب ألا وهو:

"حياة الصلاة وصلتها بالوقت"

يقول القديس يوحنا الدرجي في كتاب "السلم إلى الله":

"الملائكة هم نوراً للرهبنة، والرهبنة هي نوراً للعالم"

نحن اخترنا أن نترك كل الدروب الأخرى لنحيا حياة الرهبنة، لأنها تمنحنا قدرة أكبر على الصلاة؛ فالحياة الديرية، ببعدها عن اضطراب العالم، تسمح للراهب أو الراهبة بأن يقوموا بالدور الحيوي في تعضيد جسد الكنيسة من خلال خدمة الصلاة.

هذه هي المهنة التي اخترناها والتي تُجسد السبب الذي لأجله نحن مقيمين في أديرتنا.

وتظهر المشكلة هنا عندما نبدأ بفصل الصلاة عن الأنشطة الأخرى في الدير. ولقد لاحظت أننا في بعض الأحيان نُجزِّئ الصلاة ونقرنها فقط بأوقات وشروط معينة، أي أننا نفصلها عن الأشياء التي لا نعتبرها جزءاً من صلاتنا.

على سبيل المثال، قد نتضرر عندما نضطر إلى حضور إجتماع لم يتم الإعلان عنه مسبقاً لأننا لم نكن قد أتممنا قانوننا الروحي. أو نتذمر من القيام بخدمة أحد أخواننا/ أخواتنا لأنه قدُطُلِب منا أن نفعل ذلك في الوقت الذي نُفضل فيه أن نبقى في قلاياتنا. في مثل هذه المواقف قد نفقد سلامنا ونعتبر هذه الأحداث غير السابقة التخطيط مزعجة وتعوق إدارتنا لوقتنا.

حقاً أن للصلاة أولوية في حياتنا، لكن كما قال القديس بولس الرسول:**"وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا"** (١كو ١٣: ٢)

لذلك يا أحبائي، في اعتقادكم، ما هي المشكلة في وجهة النظر السابق ذكرها؟ ربما تكمن المشكلة في إحساسنا بامتلاكنا للوقت – فنحن نشعر وكأننا نملك كل ساعة في الـ ٢٤ ساعة التي يتكون منها اليوم غير راغبين في التفريط في أي منها. لو أن هنا مكمن القضية فعلينا أن نتذكر ما هو مكتوب: **"أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ! لأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ. عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا: «إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هذَا أَوْ ذَاكَ»"** (يع ٤: ١٤: ١٥)

أو ربما نعاني من نقص في المحبة بالرغم من أنه مكتوب: **"لِتَصِرْ كُلُّ أُمُورِكُمْ فِي مَحَبَّةٍ"** (١كو ١٦: ١٤)

أو قد لا يكون أياً من السببين، وإنما اعتقادنا بأننا سوف نجد الله فقط داخل محيط القلاية.

ولو كان هذا الاعتقاد صحيحاً، ولو كانت صلواتنا محدودة بهذه الكيفية، لكان علينا إذن أن نترك كل شيء نعمله ونركض مسرعين إلى قلاياتنا حيث يكون الله موجوداً.

ما أحاول أن أقوله هنا هو أن الله غير محدود بالمكان أو الزمان الذي نحدده له. الله أبديٌ وكلّي القدرة، هو دائماً في كل مكان.

لذلك لا تضع كل ثقتك في تفكيرك، ولكن بالأحرى كن طوع يديَّ الخزاف ودع الروح القدس يقودك إلى حيثما يشاء.

تذّكروا قصة الرهبان الذين كانوا في عجلة من أمرهم للقاء ربنا يسوع المسيح على الجبل، ومروا جميعاً بالشيخ الذي كان يطلب المساعدة لينضم إليهم في مسيرتهم؛ لم يفكر أحداً منهم في التوقف لمساعدته لأن جميعهم نظروا إليه كمانع لتحقيق هدفهم وكعائق لخططهم، وفي النهاية حصل القديس الأنبا بيشوي فقط – والذي دفعه قلبه المحِّب لحمل الشيخ على أكتافه – على البركة من ربنا يسوع المسيح نفسه.

ومع ذلك، دعونا نوضِّح أن ليس معنى هذا أن نقضي الوقت في الكلام غير المثمر أو عمل أشياء لا تأتي بالنفع علينا أو على الآخرين كما هو مكتوب: **"«كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تُوَافِقُ. كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تَبْنِي"** (١كو ١٠: ٢٣)

دعونا أيضاً نؤكد على أن الوقت الذي نقضيه في الكنيسة أو القلاية أو الخدمة أو صلوات المجمع ليس بالضرورة يساوي وقتاً بلا ثمر – كونوا مدركين حقيقة أننا في كل الأوقات نكون في حضرة الله، ولذا فلننتفع بكل ما يأتي إلينا بروح المحبة كما يقول الكتاب المقدس:

"وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ، فَاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ" (كو ٣: ٢٣)

عندما نصلي فلنُصلي بحرارة، وعندما نعمل فلنعمل بنشاط، وعندما تدعو الحاجة إلى تواجدنا في جلسة من أجل مصلحة الدير فلنحضر بوعي وإدراك. دعونا نتذكر أن ليس معنى هذا أنه ليس بمقدورنا الصلاة أثناء ممارسة الأعمال البسيطة - بل على العكس - أنه لشيء رائع أن نبارك عملنا بالصلاة، ولكن **"لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ"** (جا ٣: ١)

لذا يجب أن نستعمل الإفراز- فلا يجب أن تُصلي قانونك الروحي عندما يكون أخوك/أختك في إحتياج إلى تركيزك الكامل معهم، وأيضاً لا تكن مشتت الذهن بالأفكار في وقت الصلاة والتسبيح.

بالإضافة إلى ذلك فإن الصعوبة التي تواجهنا في الصلاة وارتباطها بالوقت توجد أثناء الصلاة نفسها. دعوني أوضح هذا:

في حياة الإنسان المسيحي وبالأخص في الحياة الرهبانية، لدينا صلوات وتسابيح معينة نكررها – البعض قد يتكرر عدة مرات في اليوم – وهذا يعطينا بركة التجديد الروحي والفكري المستمر. للأسف، أنه في بعض الأحيان قد يأتي هذا بالتأثير العكسي وبدلاً من أن يكون هذا عاملاً مساعداً في تقوية حياة الصلاة، يضعفها بأن يجعل الصلاة أمراً نقوم بأدائه بشكل آلي. و بمرور الوقت، وبدلاً من التركيز على كلمات التسبيح وتمجيد الله، نبدأ في الإسراع في الصلاة وتلاوتها من الذاكرة وكأنها ببساطة شيئاً نريد إتمامه لنفسح المجال للأعمال الأخرى في جدولنا اليومي.

نحن نعلم جيداً أن الله لا يحتاج إلى صلاتنا هذه - **"يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا"** (مت ١٥: ٨) فلماذا إذن نتلو صلواتنا المجمعية مسرعين في إتمامها شاردي الذهن لكيما نعود إلى القلاية أو إلى الأعمال التي لم يتم إتمامها؟

علينا أن نعي أن هناك فرقاً كبيراً بين من يصلي ويسبح بكل قلبه غير مشتت الذهن، غير منشغل بالوقت، والذي يخرج بهدوء من الكنيسة في نهاية صلاة المجمع، وآخر مشتت منشغل بأقل حركة تحدث وعقله منقسم بين اللحظة الحاضرة وخططه المستقبلية، والذي يندفع إلى خارج الكنيسة بسرعة. الأول ينتقل من صلاة إلى صلاة بينما الثاني يشعر بالاستفادة فقط عندما يصل إلى ما كان يهدف إليه وهو مجرد الذهاب للكنيسة.

دعونا نسأل أنفسنا هل حقاً نعيش في حضرة الله باستمرار؟

فلنفحص قلوبنا وأذهاننا ولنلاحظ سلوكنا عندما لا تسير الأمور كما كنا نتوقع. على سبيل المثال، هل نتضايق لو أن صلاة تسبحة نصف الليل أو أحدي الصلوات الليتورجية طالت إلى بضع دقائق زائدة؟ أم أننا نشارك فرحين في هذه البركة عالمين في كل الأحوال، أن حياتنا هي عبارة عن حالة من الصلاة المتصلة؟

بالمثل، في صلواتنا الخاصة والجامعة، هل عندما نصلي الصلاة الربانية يكون هذا بتركيز؟ أم أننا نكرر الكلمات بغير وعي لما نقول؟ هل حقاً نعي عبارة: "ليتقدس أسمك" (مت ٦: ٩) وعبارة: "كما نغفر نحن للمذنبين إلينا" (مت ٦: ١٢)؟ وماذا عن صلاة الشكر؟ هل حقاً نعطي الشكر لله أم أننا نريد فقط أن ننتهي من المقدمة لكيما نبدأ في تلاوة المزامير؟

وماذا عن المزامير نفسها؟ هل نصلي كل مزمور بنفس التركيز كما لو أن ربنا يسوع المسيح نفسه واقفاً أمامنا؟

أبنائي الأحباء، علينا أن نحرص ألا نسلك كالفريسيين وألا نحيا حياتنا الرهبانية كما لو أنها وحدات من الوقت مقسمة بين العمل والصلاة، بل علينا أن نحيا شاعرين بحضرة الله ولنحول كل شيء إلى صلاة، شاكرين الله في كل الأحوال.

لنكن عالمين أن حياة الصلاة لا تتوقف على الظروف الخارجية بل هي شيء داخلي ثابت، في كل ما نعمل دعونا نتذكر فرحين: **"أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ أَعْمَالَكَ فَتُثَبَّتَ أَفْكَارُكَ"** (أم ١٦: ٣).

دعونا نسلك بأنفس باذلة مُحبة تجاه الآخرين، ولنتعلم أن ندرك أهمية وقيمة اللحظة الحاضرة لأننا لا نضمن اللحظة التالية ولننتفع من كل فرصة تسنح للتوبة ولعمل الخير، ولنتفادى العمل بضمائر نصف واعية سالكين كما قال مخلصنا: **«تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ»**. (لو ١٠: ٢٧)

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم